

موقع شعوب الشرق الأقصى القومي في المتخيل العربي (العصر الوسيط)

شمس الدين الكيلاني *

قدّمت الثقافة العربية العديد من التصورات حول العالم، ومواقع الأمم المختلفة فيه، قبل أن تستلهم فكرة الأقاليم، التي اقتبستها في البداية، عن الفرس والهند، ثم عن التصورات اليونانية، التي تحولت إلى مرتبة الهيمنة تدريجياً.

ففي وقت مبكر، تداول المصنفون العرب مُتخيلاً عن العالم نسبوه لعبد الله بن عمرو بن العاص، يبدو فيه العالم على "صورة طائر: فرأس الدنيا الصين، وخلف الصين أمة يقال لها واق واق، ووراء واق واق من الأمم ما لا- يحصى إلا- الله، والجناح الأيمن الهند، وخلف الهند البحر وليس خلفه خلف، والجناح الأيسر الخزر، وخلف الخزر أمتان يقال لأحدهما: منشك وماشك، وخلف منشك ومانشك يأجوج ومأجوج، ومن الأمم لا يعلمها إلا الله، وصدر الدنيا: مكة والحجاز والشام والعراق ومصر" (1)

وعلى الرغم من التدقيقات، والتحسينات التي أدخلوها على هذا المتخيل، إلا أن المؤلفين العرب أبقوا على معانٍ مهمة منه ضمنوها في تصوراتهم اللاحقة للعالم، كفكرة التفاضل التكاملية بين أمم الأرض، على شكل أعضاء في كائن عضوي واحد، هو هنا الطير، تحتل فيه الصين موقع الرأس والهند موقع الجناح الأيمن بكل ما يحمله هذا من مغزى، في مقابل الصدر-القلب الذي أعطوه لدار العرب والمسلمين.

أمّا عن الحدود القصوى الجنوبية، والتي هي خلف الصين فهناك أمة يقال لها: "واق واق"، وهي في نهاية العمران، أو هو البحر الذي خلف الهند أي (المحيط الهندي)، والذي (ليس خلفه خلف)، أي آخر حدود العالم، أما الحدود الشمالية المحاذية للصين فهناك شعوب يأجوج ومأجوج ومانشك وماشك. فلقد بقيت تلك التطورات عالقة في المتخيل العربي عن العالم رغم الاكتشافات الكبرى التي أنجزوها، والمعارف التي حصلوا عليها عبر رحلاتهم وعلومهم المترامية، علما كانت تغطي بعض الفجوات المعرفية لديهم/ أو التي بقيت غامضة عندهم، أو كانت نتيجة تأثر نظريات بطليموس، التي استحوذت على سلطة معرفية قوية عليهم، علماً أن معرفة العرب "تجاوزت بصورة ملحوظة حدود العالم كما عرفه اليونان والرومان، فإن معرفة الأخيرين بالبلاد الواقعة إلى الشرق من بحر قزوين كانت ناقصة، كما لم تكن لديهم أية فكرة عن الساحل الشرقي لآسيا إلى الشمال من الهند والصين، بينما عرف العرب طريق اليباس الذي يرتفع إلى أعالي نهر أرتيش ونهر ينس، وعرفوا سواحل آسية إلى كوريا شمالاً، ولا- يزال موضع شك معرفتهم المباشرة باليابان" (2).

وتداول المؤلفون العرب أيضاً تصوراً يقسم الأرض إلى أربعة أقسام أو أربع قارات

وضعوا الهند والصين في إقليم واحد مع بلاد العرب الجنوبية. "فمنها أورفي: وفيها الأندلس والصقالية، والروم والفرنجة، ولوبية: وفيها مصر والقزم والحبشة والبربر وما والاها، وأتيوفيا: وفيها تهامة واليمن والسند والهند والصين، واسقوتيا: وفيها أرمنيا وخراسان والترك والخزر" (3).

كما أنهم قسموا المعمورة إلى سبعة أقاليم نسبوا كل منها إلى أمة كبرى، وخصّوا لكل من الهند، والصين إقليماً خاصاً بهما، إذ قالوا: "إن الأقاليم سبعة، إقليم في أيدي العرب وإقليم في أيدي الروم، وإقليم في أيدي الحبشة، وإقليم في أيدي الهند، وإقليم في أيدي الترك، وإقليم في أيدي الصين، وإقليم في أيدي ياجوج وماجوج" (4).

وقدّم المسعودي عرضاً آخر أكمل فيه هذا التقسيم، وذلك بنسبة الأمم العظمى إلى خمسة ملوك، يرمز كل منهم إلى خاصية تتميز بها الأمة عن غيرها من الأمم، بمقدار ما تكملها، وتعاضدها في الخصال والسجايا، بقوله: "أوسع الملوك الخمسة مُلكاً الذي يملك العراق، وامبراطور الصين "ملك الناس"، لأنه لا أحد من الملوك أسوس منه، ولا أضبط لملكه، وملك الترك هو "ملك السباع" وهو كناية عن شجاعة شعبه، وملك الهند "ملك الحكمة" و"ملك الفيلة" لاشتهار أهله بالحكمة، وشهرتهم بامتلاك الفيلة، وملك الروم ملك الرجال لأن أمته "الأحسن وجوهاً" (5) ويذهب ابن الفقيه في السياق نفسه، نقلاً عن يحيى بن خالد البرمكي، وذلك بقوله: "فأما ملك الأثاث فهو ملك الصين (وهو كناية عن إتقانهم للصناعات الحرفية)، وملك الدواب ملك الترك، وملك المال ملك العرب، وملك الفيلة ملك الهند، وملك الأكسير ملك الروم" (6).

وقد أسهمت "الجغرافية" في تشكيل صورة العرب عن العالم، وعن موقع الصين والهند فيه، ولا سيما في القرن التاسع الميلادي الذي كان بحق عصر انبثاق العلوم الجغرافية العربية، ومصنفاتها الكبرى، وأنماطها المتعددة، الفلكية، والوصفية، والبدائية، وما تفرع عنها من مدونات الرحلات في اتجاهات العالم كافة، وقدمت تلك الجغرافية، في جملة ما قدمت، فكرة "الأقاليم"، في تحديداتها للمكان، وأفسحت فيه المجال لاستخدام هذا المفهوم تبعاً للتقاليد المدرسية المختلفة، كما أنضجت تصور العرب "العلمي" للعالم، ولشكل الكرة الأرضية، وموقع الأقاليم المختلفة، والأمم بما فيه الصين والهند عليها، وأيضاً البحار واليابسة، والقسم المغمور فيها، فتوصلوا، في أثناء ذلك، إلى ما يشبه الإجماع، إلى النظرية القائلة: "إن الأرض ذات الشكل الكروي تقف بلا حراك في مركز الكون، وتدور الشمس والقمر، والكواكب والنجوم حولها متخذة شكل الدوائر، وهي نظرية اقتبسوها عن اليونان، عن طريق أرسطو، وبطليموس، وحسب تعبير ابن الفقيه الهمداني "إن الأرض مدورة كتدوير الكرة موضوعة في جوف الفلك، كالمحة في جوف البيضة، النسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك... والأرض مقسومة نصفين بينما خط الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب، وهذا طول الأرض، وهو أكبر خط في كرة الأرض، كما أن منطقة البروج أكبر خط في الفلك... واستدارة الأرض في موضع خط الاستواء ثلاثمائة وستون درجة، والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعا... فيكون بذلك تسعة آلاف فرسخ" (7).

وكان العرب قد أخذوا عن اليونان النظرية القائلة بأن القسم المعمور من الأرض يقتصر على الربع الشمالي منها، الذي يشمل أوروبا وآسيا وقليلًا من شمال أفريقيا شمال خط الاستواء، الذي يمتد طولياً إلى مائة وثمانين درجة، أي نصف القطر الملتف حول منتصف الكرة الأرضية، يبدأ من حدود جزيرة الخالدات في بحر أوقيانوس الغربي (المحيط الأطلسي) في أقصى الغرب إلى أقصى العمران مشرق الصين في جزيرة سيلان، التي يعتقد بعضهم أنها اليابان أو كوريا، فمتى غابت الشمس عن أقصى بلاد الصين، في الشرق الأقصى للعالم المعمور ظهرت في جزائر الخالدات، في نهاية العالم المعمور في الغرب، أما العرض، أي عرض المعمور من الأرض، من الشمال إلى الجنوب، فيبدأ من خط الاستواء أو حواليه إلى ناحية الشمال حيث ينتهي إلى جزيرة تولى، التي هي في بريطانيا. (8) أما ثلاثة أرباع الكرة الأرضية الباقية، فهي أرض بياب، ينعدم فيها العمران، فهي الجانب المغمور بالماء الذي يحيط باليابسة من جميع اتجاهاتها؛ لذا يسمى البحر المحيط، فالجانب المغمور يعادل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، وهو مغمور بمياه المحيط (فالخلق في الربع الشمالي من الأرض، والربع الجنوبي خراب، والنصف الذي تحتنا (أي في الجهة الأخرى من الكرة الأرضية) لا سكن فيه" (9).

فالأرض القفر تقع في أقصى الشمال، وفي أقصى الجنوب، إذ تنتهي العمارة شمالاً عند الدرجة ستين عند جزيرة تولى، يبدأ بعدها القفر، وينتهي العمران في الجنوب تحت خط الاستواء عند الدرجة تسعة عشر تقريباً (10). ويذهب ابن خرداذبة إلى "أن عمارة الأرض بعد خط الاستواء (جنوباً) أربع وعشرون درجة، ثم الباقي من عمره البحر الكبير، فنحن في الربع الشمالي من الأرض، والربع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه، والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه" (11).

وأن العامل الحاسم في وفرة العمران أو تضاؤله، واختلافه يتعلق عندهم بدرجات الحرارة، فتتوقف الحياة عندما تزداد الحرارة إلى حد الإفراط في أقصى الجنوب، أو إلى حد الإفراط بالبرودة في أقصى الجنوب، ويلخص المسعودي الأمر بقوله: فالأرض قسمان "أحدهما مسكون والآخر غير مسكون، والعامر منهما أقسام، أحدهما مفرط الحر، وهو ما كان على جهة الجنوب (وفيه قسم من بلاد الصين والهند وبحرهما) لأن الشمس تقترب منه، فيلتهب هواؤه.. والآخر الشمالي مفرط البرد لبعده الشمس عنه، وأن المشرق والمغرب معتدلان وإن كان فضل الشرق أظهر واعتداله أشهر (وهو حكم ينطبق على بلاد العرب والمسلمين وأهل الصين والهند) (12).

أمّا خارج المعمور من الأرض فأكثره من البحار، أو قفار غير مسكون، إذ إن ثلاثة أرباع الكرة الأرضية تغمرها المياه، التي تحيط باليابسة على شكل "بحر محيط مظلم"، وكان عند العرب فكرة قريبة الصحة عن منابع النيل، ونهر طنايس (نهر الدون) وبحيرة مايطس (بحر أزوف) ونهر دنيه (نهر دنبير) ونهر آيتل (نهر الفولغا)، وبحر تيطس (البحر الأسود) وبحر الخزر (بحر قزوين) وبحيرة خوارزم (بحيرة آرال)، ونهري سيحون وجيحون (نهري ساراداريا وأموداريا)، أما المحيط المظلم، أو ما سمّوه بالبحر المحيط، وهو المحيط باليابسة، أو بالأرض المعمورة، فقد تعرفوا على أجزاء كبيرة من سواحلها،

ولا سيما سواحله الغربية (الأطلسي)، ومنها جزر الخالدات التي نظروا إليها على أنها آخر المعمور من الأرض غرباً، وأيضاً على الساحل الأفريقي الشرقي والمحيط الهندي (13) وجزء من المحيط الهادي، إلى جزيرة سيلا التي يعتقد أنها اليابان أو كوريا، وعلى حافة السواحل الصينية في الشرق.

يشرح أبو الفداء (732-1335م): سُمِّي محيطاً لإحاطته بجميع القدر المكشوف من الأرض، ولهذا كان يسميه أرسطو الإكليلي، لأنه حول الأرض كالإكليل (14). ويشرح البيروني "فالمعمورة إذن في ربع من أرباع الأرض، ويطيف به بحر يسمى في جهتي المغرب والمشرق محيطاً" (15). ولقد أطلقوا على البحر المحيط أحياناً أسمي: البحر الأخضر، الأوقيانوس وأحياناً أخرى أطلقوا هذين الاسمين على المحيط الأطلسي، فهذا المسعودي يقول: "أما البحر المحيط الذي هو عند أكثر الناس معظم البحار وأنها معه متشعبة، ويسميه كثير منهم الأخضر، ويسمى باليونانية أوقيانوس، وأكثر نهاياته مجهولة عند بطليموس وغيره فإنه يبتدئ من نهاية العمارة في الشمال إلى أن يصير إلى المغرب وينتهي إلى نهاية العمارة في الجنوب، ليس له نهاية في غربيه ولا شماليه نهاية محدودة، ويتصل ببحر الصين مما يلي الزابج وجزائر المهراج (الجزر الاندونيسية) وشلاهد" (16)، ويأخذ هذا البحر المحيط في استدارته على اليابسة، أو على حافة العالم المعمور، أسماء البلاد التي يحفها، فهو في أقصى الغرب يحاذي الساحل الغربي لأفريقيا، ويسمونه أحياناً الأقيانوس أو البحر الأخضر، وحسب أبو الفداء "أن جانب المحيط الذي على ساحله بلاد المغرب، يسمى أقيانوس، وفيه الجزائر الخالدات" (17). ويشرح ابن رسته بقوله: "و بحر أوقيانوس هو بحر المغرب -البحر الأخضر- لا- يعرف منه إلا- ما يلي المغرب، والشمال من أقصى أرض الحبشة (أفريقية الغربية) إلى بريطانيا، وهو بحر لا تجري فيه سفن، وفيه ستة جزائر مقابل أرض الحبشة (أفريقية) تسمى الجزائر الخالدات (الكناري)، وجزيرة أخرى تسمى غديرة (لعله يقصد الآزوري) (18)، ولا يعلم أحد حسب الإدريسي، "ما خلف هذا البحر المظلم، ولا- وقف بشر على خبر صحيح لصعوبة عبوره وظلامه أنوائه وتعاضم موجه، وكثرة أهواله، وتسلط دوابه وهيجان رياحه" (19).

كما أطلقوا على جزء (البحر المحيط) الذي يحف أطراف الصين، من أقصى الشرق المعمور، اسم "البحر الزفتي" أما البحر الذي يحاذي الصين في الجنوب فيسموه البحر الصيني، ويأتي بعده البحر الهندي، ويسمون أحياناً البحار المحاذية لجنوب الصين والممتدة إلى سواحل أفريقية الشرقية، البحر الهندي، أو البحر الصيني، أو يطلقون عليه اسم المنطقة المحاذية له، يذكر الإدريسي "البحر الصيني المسمى بحر "صنخي"، ومن الناس من يسميه بحر الصنف، ورأسه ومبدؤه من البحر المحيط المسمى هناك البحر الزفتي، لأن ماءه كدر وريحه عاصفة والظلمة لا- تزال واقعة عليه في أكثر الأوقات، ويتصل هذا البحر الزفتي بالبحر المحيط المتصل ببلاد يأجوج ومأجوج" (20).

فقد تصوروا أن الجزء من البحر المحيط، الذي يحاذي الصين من الشرق هو نهاية المعمور من الأرض، وله رائحة عكرة، ويتصل بالجنوب في بحر الصين، ويؤكد على هذا غالبية المؤلفين العرب، فيذكر الدمشقي "قال أهل العلم... أن في جهة أقصى الشرق

ساحل البحر المحيط الشرقي، ويسمى البحر الزفتي لشدة ظلمته وسواده". ويستأنف القول: "قال أهل العلم بذلك أن في البحر الزفتي المشرقي ما هو وراء جبال النشادر والأخوار، قريب من سواحلها ست جزائر كبار تسمى بالسيلي لما فيه من الياقوت والجواهر والمعادن والمغاصات" (21)، فالبحر الزفتي الذي يحاذي جزيرة السيلي، يقف مع هذه الجزيرة في نهاية العالم المعمور وسيلي هذه، يعتقد الباحثون المعاصرون أنها اليابان أو ربما هي كوريا، وهو ما أكده المسعودي أيضاً، أنه ليس بعد هذا البحر "ممالك تعرف ولا توصف، إلا بلاد السيلي وجزائرها" (22).

وكان قد أشار الدينوري (282هـ-891م) المؤرخ الكبير، أن الإسكندر عندما أراد الاجتياز إلى "أرض الشرق" قال له وزراؤه: كيف يمكنك الاجتياز إلى مطلع الشمس من هذه الجهة، ودون ذلك البحر الأخضر ولا تعمل فيه السفن لأن ماءه شبيهة بالقيح، ولا يصبر على نتته أحد" (23).

ويحيط بالحافة الجنوبية لشرق الأقصى جزء آخر من البحر المحيط المظلم، تتحدد أسماؤه حسب الجهات التي يحاذيها: البحر الصيني، والبحر الهندي، وبحر فارس إلى بحر الزنج، والقزم ويطلقون على هذه الأجزاء كلها أحياناً اسم البحر الصيني، أو البحر الهندي، وحاولوا تقدير امتداده ومساحته، فيشير المسعودي "فأما البحر الهندي فإنه يمتد طوله من المغرب إلى المشرق، وذلك من أقصى الحبشة إلى أقصى الهند، ويكون ذلك مقدار ثمانية آلاف ميل في صين ربع مائة ميل" (24).

وهذا الإدريسي يعدد تسميات هذا البحر، فبعد أن يلفت نظرنا بأن العالم المعمور بأقاليمه السبعة، تخترقه سبعة بحور متصلة، وواحد منفصل هو بحر الخزر (قزوين)، يقول: إن أحد البحور التي في الأرض المعمورة هو بحر الصين والهند والسند واليمن وينتهي في باب المنذب... وهناك يبلغ طوله فيما حكاه الثقة والمسافرون... من مبدأ بحر القلزم إلى الواق واق أربعة آلاف فرسخ وخمسائة فرسخ، وفيه من الجزائر نحو ثلاثمائة جزيرة بين عامره وخالية" (25). ويطلقون أحياناً على هذه البحار الجنوبية كلها اسم "البحر الحبشي" وهو ما يشير إليه المسعودي بقوله: "البحر الحبشي، هو بحر الصين، والسند والهند، والزنج، والبصرة، والأبله وفارس، وكرمان، وعمان، والبحرين والشحر، واليمن، وإيله، والقلزم، والحبشة... وطوله... ثمانية آلاف ميل، وعرضه في الشمال ألفان وسبعمائة، وقيل: ألف وتسعمائة" (27).

ويتصل (البحر الزفتي)، الذي يحاذي الصين من الشرق، بالبحار التي تحيط شمال أوروبا وتتصل بدورها بالبحر الأخضر (الأطلس)، كما أنه يتصل بالجنوب بما كانوا يسمونه بالبحر الصيني، أو الهندي، أو الحبشي، ليتصل بالنهاية بالبحر الأخضر (الأطلس)، وهكذا تتصل أجزاء (البحر المحيط) ببعضها لتحيط اليابسة في اتجاهاتها كافة، وهو ما يصوره أبو الفداء بقوله عن (البحر المحيط): "يمتد شرقاً وشمالاً حتى يتصلب ببحر الصين والهند، ثم يأخذ مشرقاً حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة، وهناك بلاد الصين، ثم ينعطف في شرقي الصين إلى جهة الشمال، ثم يمتد شمالاً على شرقي بلاد الصين، حتى يتجاوز بلاد الصين، ويسامت سد يأجوج ومأجوج ثم ينعطف ويستدير على أرض غير

معلومة الأحوال ويمتد مغرباً ويصير جهة الشمال عن الأرض، ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها، ويعطف مغرباً وجنوباً. ويستدير على الأرض ويصير من جهة الغرب، ويمتد على سواحل أمم مختلفة من الكفار حتى يتجاوزها إلى سواحل الأندلس (28)، فإذا كنا قد عرفنا أن الشرق الأقصى، المقذوف على أطراف العالم المعمور في الشرق، تحيطه المياه من الشرق (البحر الزفتي)، ومن الجنوب بـ"البحر الصيني - الهندي"، فإن من الشمال تحيطه العوالم الغامضة، تختلط فيها صور شعوب غريبة الأطوار "ياجوج ومأجوج"، أو البحار الملتفة حول اليابسة من الشمال، أما في الشرق، فتفصله عن بلاد الإسلام "التخوم والثغور"، التي ظلت ثابتة في المخيلة العربية لقرون طوال، قبل أن تتزاح أمام اندماج الهند كلها في بوتقة الإسلام، وتحت سيطرة نخب حاكمة مسلمة، كان الباحثون العرب يميزون في مخيلتهم عالم "الشرق الأقصى" كمجال جغرافي محدد بوضوح، أطلقوا عليه اسم "الشرق الأقصى" تارة، طالما أن "أقصى العمران في المشرق الأقصى حدود بلاد الصين والسيلي إلى أن ينتهي ذلك إلى روم ياجوج ومأجوج" (29)، وتارة أخرى يطلقون عليها اسم "آسيا" ينقل ياقوت الحموي عن أبي ریحان البيروني قوله: "كان اليونان يقسمون المعمورة من الأرض بأقسام ثلاثة: لوبية، وأورفي، ثم قال: وما استقبل هاتين القطعتين من الشرق يسمى: آسيا، ووصفها بالكبرى؛ لأن رقعتها أضعاف الآخرين بالسعة، ويحدها من جانب الغرب النهر والخليج إلى البحر الغربي غرب أفريقيا. المذكوران الفاصلان إياها عن أورفي، ومن جهة الجنوب بحر اليمن والهند، ومن الشرق أقصى أرض الصين، ومن الشمال أقصى أرض الترك وأجناسهم" (30).

ولقد أخضعوا العالم المعمور لتقسيمات "أقاليمية" مختلفة، احتلت فيها أمم الشرق الأقصى مكاناً خاصاً، وعندما استعرض البيروني مختلف الطرق المتبعة في تقسيم الربع المعمور من الأرض، أتى إلى الفرس فشرح كيفية تقسيمهم للمعمورة إلى سبعة أقاليم أو سبع مناطق تسمى (كشورات) وجعلهم (إيران شهر) أو (بابل) الكشور الرابع الأوسط، والكشورات الست تحيطان به من جميع أطرافه، وعلى هذا يقع الكشور الأول، وهو (الهند) في الشمال الغربي، والثاني وهو (المغرب) في الشمال، والثالث وهو (الشام) في الشمال الشرقي، والخامس وهو (الروم) والصقالية في الجنوب الشرقي، والسادس وهو (الخرز و الترك) جنوباً، والسابع وهو (الصين) والتبت في الجنوب الغربي (31).

وكما مرّ معنا، فإن العرب بدؤوا بإعطاء الأقاليم مفهوماً جغرافياً، منذ القرن الثالث هجري، مع تحديدهاته البيئية البشرية اللازمة له، إلا أنهم أعطوه على الأقل ثلاثة معانٍ، أول تلك المعاني التي تجلت في استعمالهم الخاص له -عكس منهجيتهم العربية الخاصة- هي التي تجلب في دراساتهم (البلدانية) وفي المسالك والممالك" وفي "أدب الرحلة" فأخذ هنا معناه الجغرافي البشري بحق، رسموا فيه ناحيةً مشتملة على عدة مدن وقرى على أنه إقليم خاص، أما الاصطلاح الثاني فقد أتاهم تأثراً بمذهب السند هند، وبالمذهب الهرمسي الإيراني، قسموا الممالك المحيطة (بايران شهر) إلى كشورات سبعة تدور ستة منها حول إقليم إيران شهر، فطوره العرب، ليحيلوا العراق محل إيران شهر، أي يجعلوها إقليماً

مركزياً. وخصوا كلا من الصين والهند بإقليم مميزاً في هذا التقسيم، ويشرح المسعودي هذا المذهب: "وذهب هرمس في مُتبعيه من المصريين، وغيرهم إلى أن في الجنوب سبعة أقاليم، كما هي في الشمال، وكان يجعل قسمة أقاليم العمران من الشمال مدورة، فيجعل الإقليم الرابع، وهو إقليم بابل واسطاً لها، وستة دوائر حوله، وأن كل إقليم سبعمائة فرسخ في مثله، فالإقليم الأول: الهند، والثاني: الحجاز والحبشة، والثالث: مصر وأفريقية، والرابع: بابل والعراق، والخامس: الروم، والسادس: يأجوج وماجوج، والسابع: بوماريس، والصين، يبتدئ جميعها من المشرق مما يمر ببلاد الصين" (32). ويعطي المسعودي للإقليم الرابع، الذي فيه بابل، العراق أهمية خاصة، إذ يقول: "ونحن ذاكرون الإقليم الرابع وما بان به عن سائر الأقاليم، وجلالة صُنعه، وشرف محله" (33). ولعل مفهوم مركزية "دار الإسلام" ممثلة بعاصمتها الروحية: "مكة" وعاصمتها السياسية: بغداد، قد اقتبسه العرب من المفهوم الجغرافي الإيراني، إلا أن هذا المفهوم أخذ ينافس مفهوم فلكي للأقاليم، بتأثير الترجمة عن اليونانية، وهذا ما تجلّى في "خريطة المأمون" التي أنجزها عدد من العلماء العرب، والتي عزّبت الأسماء الكلاسيكية اليونانية، وعبرت بعمق عن ثقة العرب بعلو مكانتهم في العالم، وقد فاقت هذه الخريطة ما تقدمها من دراسات في الجغرافية، بما فيها دراسات بطليموس الذي كان لتأثير مؤلفاته دورٌ حاسمٌ في تحول العرب منذ القرن التاسع ميلادي، نحو الجغرافية الفلكية تأثراً بما أرساه بطليموس من قواعد، ولا- يمكن إغفال المكانة المهمة للخوارزمي/ أبو عبد الله محمد بن موسى (220هـ - 835م) صاحب كتاب "صورة الأرض" الذي يسترعي الانتباه بشكل خاص تقسيمه للربع المعمور من الأرض إلى سبعة أقاليم، ممتدة عرضياً بموازاة خط الاستواء شمالاً من المشرق إلى الغرب، على الطريقة البطليموسية، تمتد الأقاليم واحداً فوق الآخر من الجنوب (خط الاستواء) إلى الشمال حتى نهاية العالم المعمور، وكما يقول الإدريسي: "وهذا الربع المسكون من الأرض قسمته العلماء سبعة أقاليم، كل إقليم منها مار من المغرب إلى المشرق على خط الاستواء، وليست هذه الأقاليم بخطوط طبيعية ولكنها وهمية محدودة موجودة بالعلم النجمي" (34).

ثم أصبحت هذه الطريقة مذهباً شائعاً في المصنفات الفلكية العربية، فقد اتبعتها الفرغاني، وسهراب والبيروني واعتمدها الإدريسي، وابن سعيد المغربي، والكثير من الجغرافيين كابن خردادبة، وابن رسته، وابن الفقيه، واليعقوبي، بعد أن جمعوا بين الأخذ بهذا التقسيم، والطريقة الأخرى التي تجعل العراق وسط الأقاليم، وتدور حولها الستة الباقية.

وافترضوا على أساس تقسيمهم الفلكي للأقاليم، كأحزمة عرضية متخيلة فوق خط الاستواء، أنه كلما أمعنا جنوباً باتجاه خط الاستواء زادت الحرارة شدة، وأشد الأقاليم حرارة هو الإقليم الأول، ويليه الثاني، وهي الأقاليم التي تقع في الصين، والهند وأيضاً بلاد العرب الجنوبية، وكلما ذهبنا شمالاً ازدادت حدة البرودة حتى تصل إلى أشدها في الإقليم السابع، الذي تقع فيه شمال الصين، والهند، والشعوب المجاورة لها في الشمال ولا سيما قوم يأجوج وماجوج، والترك. أما خارج الأقاليم السبعة هذه شمالاً جنوباً، فتتعدم فيها فرص الحياة، وهو ما عبر عنه ابن رسته "أرضون مجهولة لم يصل إليها أحد، ولا أذكر

أحداً أنه عاين شيئاً من تلك الأرضين، فلا يعلم فيها من نبات أو حيوان، إلا أنه قد نعلم اضطراراً (بالضرورة الطبيعية) أنه غير ممكن أن يكون في المطالع (الأماكن) التي يفرط حرّها أو بردها حيوان أو نبات" (35).

وعلى هذا فإن الإقليم الأول، ثم الثاني المحاذيين لخط الاستواء، وللعالم غير المعمور من الأرض، هما الأشد حرارة بين الأقاليم الباقية، أما الإقليم الرابع فهو يتوسط الأقاليم، ويأخذ مزاياه الجيدة لأنه متوسط البرودة والحرارة، وهو الإقليم الأكثر ملاءمة للعمران، ولنهوض الحضارة، لقد وصل تأثير هذا التصور إلى ابن خلدون وعبر عنه خير تعبير: "ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين من الحر والبرد وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسط فيكون معتدلاً فالإقليم الرابع أعدل للعمران، والذي حافاته من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال، والذي يليهما، والثاني والسادس بعيدان عن الاعتدال، والأول والسابع أبعد بكثير، فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس، والأقوات والفواك والحيوانات، وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر أعدل أجساماً وألواناً وأخلاقاً وأدياناً" (36). ثم يكمل القول: "وأما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال مثل الأول والثاني والسادس والسابع فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم فبناؤهم بالطين والقصب، وأقواتهم من الذرة والعشب، وملابسهم من الورق والشجر يخصفونها عليهم أو الجلود وأكثرهم عرايا من اللباس، وفواكه بلادهم وأدمها غريبة التكوين مائلة إلى الانحراف، ومعاملاتهم بغير الحجرين الشريفيين من نحاس وحديد وجلود يقدرونها للمعاملات، وأخلاقهم من ذلك قريبة من خلق الحيوانات العُجم" (37).

ويترتب على هذا المبدأ، أن يتغير حال بلدان الشرق الأقصى، تبعاً لوقوعهم في هذا الإقليم أو ذاك في الأقاليم الجنوبية، الأول والثاني، أو الأقاليم المتوسطة في الثالث والرابع"، ويترتب على ذلك أن تصيبيها التطورات المنمطة الملازمة لتلك الأقاليم، والتي اقتبسها العرب من اليونان، وشكلت تلك التصورات المقتبسة ولا سيما تصورات بطليموس وجالينوس قيوداً، وسلطة على المعرفة العربية للعالم، لم يستطيعوا التغلب عليها إلا- عن طريق معارفهم المباشرة التجريبية التي حصل عليها رحالتهم، وجغرافيوهم الرحالة.

وينفرد ابن خلدون، في وضع الهند والصين في الإقليمين الثالث والرابع اللذين يقع فيهما أغلب بلاد العرب والمسلمين، ويقع عليهما ما يقع على أهل هذين الإقليمين من صفات، ومزايا، إذ يقول: "وأما أهل الأقاليم الثلاثة المتوسطة، أهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الأحوال الطبيعية للاعتماد لديهم، من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرئاسات والملك، فكانت فيهم النبؤات (من النبوة) والملك، والدول، والشرائع، والعلوم والبلدان، والأمصار والمباني، والفراسة، والصنائع الفائقة، وسائر الأحوال المعتدلة، وأهل هذه الأقاليم التي وقفنا على أخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبني إسرائيل واليونان وأهل السند والهند والصين" (38).

غير أن الأغلبية الساحقة من المؤلفين العرب، ولا سيما جغرافيوهم، اتجهوا لتصنيف

الصين، والهند، أو الجزء الأكبر منهما، ناهيك عن جزر المحيط الهندي في الإقليمين الأول والثاني، ومن ثم تعريضهم للأحكام والصفات الملازمة لتأثيرات هذين الإقليمين، اتباعاً لتصورات المُتخيل اليوناني المجسد في بطليموس وجالينوس، ووضعوا الجزر المتناثرة في المحيط جنوب السواحل الهندية الصينية على حواف العالم غير المعمور مع كل المتخيلات الغامضة والعجيبة التي يمكن أن ترافق تصور تلك العوالم، ومع ذلك فإن الباحثين العرب، حاولوا تجنب الهنود والصينيين مما يتلزم ووجودهم في الأقاليم الجنوبية الأول والثاني، من أحكام تبخيسية، وذلك بتدخل عوامل مناخية أخرى تخفف من وطأة حرارتهما ويبوستهما وهي الطريقة نفسها التي استنتج بها ابن خلدون مناطق الجزيرة العربية الواقعة في هذين الإقليمين بتدخل رطوبة البحر الذي يحيط بها، إذ يقول: "ولا يعترض على هذا القول (أي القول بتأثيرات مناخ الإقليمين الأول والثاني) بوجود اليمن والحضرموت والأحقاف وبلاد الحجاز واليمامة، وما يليها من جزيرة العرب فهي الأول والثاني، فإن جزيرة العرب كلها أحاطت بها البحار من الجهات الثلاث، فكان لرطوبتها أثر في رطوبة هوائها، فنقص ذلك من اليبس والانحراف الذي يقتضيه الحر، وصار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر". (39)

وعلى هذا الأساس أوضح الإدريسي أسباب خروج الصين والهند عن أحكام الإقليمين الأول والثاني، ومن خصائصه المنحرفة، والتي نمطها جالينوس بصفات متلازمة، إذ يتذكر الإدريسي "وأهل الإقليم الأول كلهم سمر أو سود، فأما أهل الهند والسند والصين وكل من احتضن منهم البحر فألوانهم سمر، وأما أهل الصحارى من الزنج والحبشة والنوبة وسائر السودان الذين سبق ذكرهم فلقطة الرطوبة البحرية وتوالي إحراق الشمس لهم، وممرها عليهم دائماً تغلفت شعورهم واسودت ألوانهم، وأنتنت أعرافهم، وتغشفت جلود أقدامهم وتشوهت خلقهم، وقلت معارفهم، وفسدت أذهانهم، فهم في نهاية الجهالة واقعون، وإليها يُنسبون" (40).

وأعلى الجغرافيون العرب من مساحة الإقليم الأول، والثاني قياساً إلى الأقاليم الأخرى، فأوضح البيروني في كتابه "القانون المسعودي" مساحات الأقاليم السبعة تبعاً لتلك القاعدة، التي تخفف باطراد، مساحة الإقليم كلما صعدنا شمالاً، وتوسعه كلما انحدرنا نحو الجنوب، وأخذ أبو الفداء الترسيم ذاتها في كتابه "تقويم البلدان". (41) ويذهب المقدسي إلى أن عرض الإقليم الأول "نحو ثلاثمائة وتسعين ميلاً، والميل أربعة آلاف ذراع". وعرض الثاني "ثلاثمائة وخمسون ميلاً" والثالث "نحواً من مائتين وستين ميلاً"، والخامس "نحو مائتين وثلاثين ميلاً"، والسادس "مائتي ميل ونيف" والسابع، كما هو الإقليم السادس". (42)

ولعل اتساع الإقليم الأول، يشير عند جغرافيينا إلى مقدار الغموض الذي يكتنف نهاياته - في الجنوب - المتداخلة مع العالم غير المعمور والبحار الغامضة التي يغرق بها خلف خط الاستواء، التي تصل إلى أربع وعشرين درجة، ويضع في وسط الإقليم الأول بالإضافة إلى صنعاء وعدن، والأحقاف، وحضر موت ونجران، وأراض من بلاد السودان - "طوائف من بلد الهند والصين مما يلي ساحل البحر، وكل ما في سمت هذه البلاد شرقاً

وغرباً فهو داخل في هذا الإقليم". (43)

كما يضع الإدريسي الأقسام الجنوبية من "الهند والصين" كذلك بحار الهند والصين، وما فيها من جزر في هذا الإقليم. (44) فيتذكر أن مبدأ هذا الإقليم يبدأ من جهة الغرب "من البحر الغربي المسمى ببحر الظلمات، البحر الذي لا يعلم ما خلفه، وفيه هناك جزيرتان تسميان بالخالدات ومن هذه الجزائر بدأ بطليموس بأخذ الطول والعرض" (45)، ويدخل فيه أيضاً مدن أوليل وسلى وتكرور، وجنوب مملكتي غانة، وزغاوة، ومالي في أفريقيا، وجنوب الحبشة، ثم البحر اليمني ومدينة صنعاء وعدن وأرض حضرموت، وجزيرة سوقطرة، ثم البحر الهندي وجملة من جزائره المتفرقة، كجزائر الزابج (سومطرة)، وما يسميه جزيرة القرود. وجزائر الدبيجات (مالديف) وجزيرة سرنديب (سريلانكا)، في بحر هركند، ثم جزيرة الرامي في الطرف الشمالي من سومطرة، وهي تابعة للهند، ثم البحر الصنفي وهو جزء من البحر الهندي، وجزائر شلاهط (خليج البنغال) وهزلج، وكلة، والصنف فينتام، ثم إلى جنوب الصين، والبحر الصيني المسمى صنخي، إلى أن ينتهي هذا الإقليم بالبحر الزفتي المحاذي للصين من الشرق، "ويتصل هذا البحر من جهة الجنوب بجزائر الواق واق إلى البحر المحيط بالأرض في جهة الجنوب" (46).

وهذا الإقليم لا بد له من أن يترك تأثيراته على البيئة والبشر، والحيوانات التي تدخل فيه، فإذا كانت الرطوبة وإحاطة البحر لبلاد العرب الجنوبية، وبلاد الهند والصين تخفف من غلوائه على البشر، إلا أن تأثيرها على النبات والحيوان ظاهر، إن كان في جزر المحيط الهندي، أو على البر الهندي الصيني، يذهب الإدريسي إلى القول: "وفي هذا الإقليم الأول من الحيوانات التي لا توجد في غيره من الأقاليم الستة الباقية: الفيلة والكركدنات، والزرائف، والقردة ذوات الأذنان، والبقر والجواميس التي لا أذنان لها، والنسانيس.. وبذا الإقليم أيضاً معدن الزمرد.. والياقوت بأنواعهما... ودابة (البابة لا توجد إلا في هذا البحر) (بحر هو كند).. وسمكة الغرا"، وليس هذا وحسب، بل ينفرد هذا الإقليم على أشكال من النبات، لا تثبت في غيره "وفي هذا الإقليم، من الطيب والقرنفل والصندل والكافور والعود، وكل هذه لا يوجد شيء فيها في سائر الأقاليم". (47)

كما يُظهر الإدريسي، مثل غيره من المؤلفين العرب، وقوع أجزاء من الهند والصين في الإقليم الثاني أيضاً، والذي تتقارب تأثيراتها مع تأثيرات الأول. ويضع الأجزاء الشمالية من الصين والتبت أيضاً في الإقليم الثالث، مع الأجزاء الجنوبية لبلاد الترك، وتقع بقية أرض الترك، في الإقليم الخامس والسادس، وفي الإقليم السابع الأخير تقع بلاد ياجوج وماجوج، أي في حدود العالم المعمور في الشمال، وهم الجيران الشماليون للصين، أما ابن سعيد المغربي، الذي بدأ وصف أقاليمه المعمورة من عند الدرجة السادسة عشرة، إلى الدرجة الثمانين شمالاً، وأضاف إلى الأقاليم السبعة، التي اعتمدها أغلب المؤلفين العرب لتنظيم حدود المعمورة، إقليمياً في الجنوب سماه "المعمور خلف خط الاستواء إلى الجنوب"، وأقره في الشمال سماه "المعمور في شمال الأقاليم السبعة"، وآخر في الشمال سماه "المعمور في شمال الأقاليم السبعة"، ولعله فعل ذلك ليستوعب الاكتشافات، والمعلومات التي أضافها العلماء العرب ورحالتهم عن العالم، وضع في "المعمور خلف

خط الاستواء" وعرضه ست عشرة درجة، جزر المحيط الهندي كجزيرة سرنديب، بالإضافة إلى بحر العرب، وجنوب أفريقيا، والأجزاء الجنوبية من البحرين الهندي والصيني ومدينتي خمدان، وقيطاغور الصينيتين، ولا- ينسى أن يضع فيه الجزائر الغامضة، جزائر الواق واق. (48) وهي في نهاية العالم المعمور. ويشير إلى أن الإقليمين الأول والثاني، بيدان من الجزائر الخالدات في المحيط الأخضر (الأطلسي)، ويمران ببلاد التكرور وبريسا وبلاد كوكو، وكانم، وزغاوة، وجنوب الحبشة، وهم الأفارقة السود، في جنوب القارة، عابراً جنوب الجزيرة العربية، وبحر اليمين، إلى جزر المحيط الهندي (جزائر النرجل)، والساحل الهندي، وجزر المهراج، وجزيرة جاوه الكبيرة، وجزيرة كلة وجزائر القامرون (كمبوديا)، وجزائر الصين، ومدينة الصنف الصينية، والأجزاء الجنوبية من الهند والصين، إلى جزائر السلي (كوريا أو اليابان). (49) ويضع باقي أجزاء الصين والهند، في الإقليمين الثالث والرابع، وهي الأقاليم المتوسطة، أما في الإقليمين السادس والسابع، وأيضاً المعمور في شمالي الأقاليم السبعة، فيضع جيران الصين والهند الشماليين من شعوب الترك، والشعوب الأخرى الغامضة يأجوج ومأجوج.

وإذا كان كل من الإدريسي وابن سعيد المغربي، بيدان في عرض مواقع الأقاليم، من الغرب على طريقة بطليموس، فإن ابن رسته، وياقوت، وأبا الفداء، بيدؤون ذلك من الشرق على الطريقة الفارسية، والهندية، لهذا يذكر ابن رسته أن الإقليم الأول "يبتدئ من الشرق من أقاصي الصين، ويمرّ على الصين، ثم يمر على سواحل البحر في جنوب السند، ثم يمر في البحر على جزيرة الكول، ويقطع البحر إلى جزيرة العرب، وأرض اليمن..". وأما الثاني فيبتدئ من المشرق "فيمر على بلاد الصين، ثم على بلاد الهند، ثم على بلاد السند، وفيه المنصورة والنيرون والديبل...". ويمر الثابت "على شمال بلاد الصين، ثم على بلاد الهند... وشمالي بلاد السند..". ويمر الرابع "ببلاد التيبث ثم على خراسان...". (50)

ويضع ابتداء استقرار شعوب يأجوج ومأجوج، وشعوب الترك، جيران الصين والهند ابتداءً من الشمالي، في الإقليم الخامس، ويمتد وجودها في السادس والسابع، الذي "يبتدئ من المشرق من الشمال بيأجوج ومأجوج، ثم يمر على بلاد الترك ثم على ساحل بحر طبرستان... أما ما وراء هذه الأقاليم.. فإنه يبتدئ من المشرق من بلاد يأجوج ثم يمر على بلاد التغزغز، وأرض الترك". (51)

وفي السياق ذاته يذهب ياقوت إلى أن الإقليم الخامس يبتدئ "من أرض الترك المشرقين ويأجوج المسدودين. ويمر على أحباس الترك المعروفين بقبائلهم إلى كاشغر.. الخ"، كما أن الإقليم السادس "يبتدئ من مساكن ترك المشرق، من فاني وفون، وخرخيز، وكيماك وتغزغز وأرض التركمان... وفاراب... ويمر على القسطنطينية...". بينما يتركز في الإقليم السابع، فرق من الترك كالمستوحشين". (52)

وعلى هذا فإن البحار المحاذية لسواحل الهند والصين، والجزر المتناثرة فيها تقع في أطراف الجزء الجنوبي من الإقليم الأول، كما تقع في أجزائه الشمالية، وفي الإقليمين الثاني، والثالث بلاد الصين والهند، أما الجوار الشماليون من أتراك ويأجوج ومأجوج فهم

في الأقاليم: الخامس والسادس، وخاصة السابع.

تنازع المؤلفون العرب حيال الصين والهند، نموذجين للتفسير، الأول يأخذ دلالاته من وقوع أغلب بقاعهما في دائرة الإقليمين الأول والثاني، الفلكية، ومقتضياته الملازمة له، التي تجعلهما في أطراف العالم الجنوبية بكل غموضها وخصائصهما الفجة التبخيسية، بوصفها تعكس حرارة خط الاستواء المتوهجة، التي تضعف الشروط الملائمة للعمران، والثاني نابع من احترامهم العميق لهذين البلدين، وتقديرهما لدورهما العمراني والحضاري، الناتج عن معرفتهم المترامية بهما، فابتهلوا لذلك تعليلاً يمكنهم من وضع البلدين خارج أحكام وتأثيرات الإقليمين الأول والثاني، فوضع ابن خلدون قاعدة مناسبة لهذا التعليل، استناداً إلى تأثير إحاطة البحر بهذه البلدان، وكثافة الرطوبة، وأكمل هذا النموذج التفسيري من بعده، الإدريسي وغيره من المؤلفين، وذلك بالاستناد أيضاً إلى إحاطة البحر بهذه البلاد، وكثافة الرطوبة اللتين لا تسمحان بحصول اليباس والانحراف الذي يقتضيه الحر. لقد لخص المروزي (القرن 11م) في كتابه "أبواب في الصين والترك والهند الذي كتبه عام 514هـ - 1120م، فبعد أن يضع الصين في الإقليم الأول والثاني، يعلق قائلاً: "فأرض الصين داخله في ثلثة (ثلاثة) من هذه الأقاليم لامتداد أطرافها، وكثرة بلادها، ولما كانت بلادها موضوعة في مشارق الشمس كانت أهويتها صافية ومياهها باردة عذبة، وتربتها طيبة، وإذا كانت البلاد بهذه الصفة كان سكانها وعمارها كذلك، لما ذكرنا أن أخص الأشياء بالحيوان تربته التي يتكون فيها، ولهذا ينسب الإنسان إلى التراب... فأهل الصين فمعتدلو المزاج حسنو الشكل والصورة وسلسو الأخلاق، وهم أجناس مختلفة البلاد والمساكن". (53)

واستعانوا لذلك، أيضاً، بتأثير النجوم الذين سماهم في تعديل مفاهيم موقعهم الأقاليمي، وكان لزحل و عطارد دورهما الحاسم في ذلك، وكما يشير صاحب (أجد العلوم): "وعلل ذلك أهل التنجيم بأن زحل و عطارد يتوليان بالقسمة لطبيعة الهند، فلولاية زحل اسودت ألوانهم، فهم أهل الآراء الفاضلة، والأحلام الراحجة لهم التحقق بعلم العدد والهندسة والطب، والنجوم والعلم الطبيعي والإلهي، فمنهم صابئة... ولهم في الحساب والأخلاق والموسيقى تأليفات". (54)

ويذهب المسعودي في الاتجاه ذاته، حين يضع في تقسيمه الأقاليمي تأثير النجوم والأفلاك، "فأرض بابل" في الإقليم الأول "له من البروج الحمل والقوس، ومن الأنجم السبعة المشتري، الإقليم الثاني الهند والسند والسودان، وله من البروج العقرب، ومن الأنجم السبعة المزهرة... والإقليم السابع: الديبل والصين، وله من البروج الميزان، ومن الأنجم السبعة الشمس". (55)

وإذا كنا قد عرفنا أن الشعوب المجاورة لبلاد الصين والهند في أقصى الشمال هي الشعوب التي يطلق عليها اسم "ياجوج ومأجوج" فإن تلك الشعوب تبدو لهم وكأنها على تخوم العالم المعمور، يحدّها، في النهاية، الأرض اليباب، وكما يقولون: "وأما ما بين ياجوج ومأجوج والبحر المحيط في الشمال.. فقفر خراب ما بلغنا أن فيه عمارة". (56) حافظ المؤلفون العرب، نسبياً، على استقلالهم الفكري، وهم يقتبسون النموذج الفلكي

البطليموس للأقاليم، أو النموذج الأقاليمي الآخر الذي يرجع إلى مذهب (السند هند) و "المذهب الهرميسي الإيراني"، ولم يستسلموا لحرفية تلك النماذج، بل وظفوا أطرها المنهجية لمقاصدهم، وكان تأليفهم لـ "خريطة المأمون" إشارة على شعورهم العظيم بالاستقلالية، وبدورهم المتعاضم في العالم، يل ذهب بعض المؤلفين كابن رسته، وابن خردزابه، وابن الفقيه إلى الجمع بين هذه النماذج في مدوناتهم، بأن وظفوا النموذج الهندي - الإيراني لوضع المدن المقدسية الإسلامية، أو العاصمة السياسية للخلافة العربية كمرآة للعالم بدلاً من إقليم "إيران شهر"، وقد افتتحوا مؤلفاتهم بتصوراتهم المختلفة عن الأرض والجزء المعمور، والمعمور فيها، وعن الأقاليم، والبحار السبعة، ثم بدؤوا بالمدن المقدسة الإسلامية (مكة والمدينة)، وعاصمة الخلافة السياسية "بغداد"، ليعرضوا بعدها المدن والأقاليم، حتى ينتهوا إلى الشرق الأقصى.

ولقد تجلت هذه الاستقلالية المنهجية والتصورية، مع أصحاب المدرسة الجغرافية العربية الكلاسيكية، في القرن العاشر الميلادي، وذلك بجمعهم بين مفهوم خاص للأقاليم. وركزوا أبحاثهم على "دار الإسلام"، واعتماد الخط الحقيقي للجغرافية العربية، وهو الخط القائم على الرحلة والمشاهدة، وعلى التحقق من المعلومات التي يُدلي بها أهالي البلدان، ومقارنتها بغيرها، ودراسة الكتب السابقة ومراجعتها، وهي منهجية مارسها أصحاب "المسالك والممالك" و"البلدان". (57)

على الرغم من أن أبا زيد أحمد بن سهيل البلخي، الذي ولد (235هـ - 850م)، هو المؤسس للمدرسة الجغرافية العربية، فإنه يمكن اعتبار اليعقوبي (278هـ - 891م) الذي دمج التاريخ بالجغرافية، واعتمد التجربة والمشاهدة أساسين لأبحاثه، وهيمن على كتابه الجغرافي "كتاب البلدان" الاهتمام بـ "دار الإسلام"، هو من وضع النواة المنهجية لـ "المدرسة الجغرافية العربية واتخذ تقسيماً للأقاليم تبعاً للاتجاهات الأربعة، حول بغداد مبتدئاً بالأخيرة، بوصفها وسط الدنيا، قال: "وإنما ابتدأت بالعراق لأنها وسط الدنيا وسدة الأرض وذكرت بغداد لأنها في وسط العراق والمدينة العظمى، التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة وكثرة مياه وصحة وهواء، ولأنه سكن من أصناف الناس وأهل الأمصار والكور، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية وأثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم". (58) ثم يعقبها بأقسام العالم الأربعة، ذاكراً "سائر البلدان والمسافات فيما بين كل بلد وبلد ومدينة ومدينة على أقسامها الأربعة حسب ما تقسم عليه أقطار الأرض بين المشرق والمغرب ومهب الجنوب وهو القبلة ومطلع سهيل... وجهة الشمال وهو كرسي بنات نعش" (59). أما ربع المشرق، فهي شرق بغداد من بلدان حتى "ما اتصل بخراسان من التبت وتركستان" (60)

ووقف إلى جوار اليعقوبي في التمهيد للمدرسة الجغرافية العربية قدامة بن جعفر (320هـ - 932م) صاحب "كتاب الخراج وصفة الكتابة"، الذي كرّس مفهوم "مملكة الإسلام" إضافة إلى "دار الإسلام"، كمفهوم جغرافي وسياسي وحضاري، الذي بقي سائداً في التأليف الجغرافي حتى نهاية القرن الحادي عشر ميلادي على الأقل، وتعرض في كتابه لـ "صورة الأرض"، ولمعطيات متعلقة بدار الإسلام، كالضرائب والثغور وتخوم دار

الإسلام، عرج بعدها على الأمم الأخرى، وفي النهاية لشعوب الأقصى. مظهراً موقع دار الإسلام الممتاز في علاقتها بتلك الأمم (61)، ونظر إلى أمم الشرق الأقصى كغيرها من الأمم، على أنها تتحلق حولها، بعد أن قسّم الجزء المعمور من الأرض على طريقة اليعقوبي قياساً على الاتجاهات الأربعة، متحلقة حول دار الإسلام، مفتتحاً عرضه للأقاليم والبلدان بمدينة الخلافة بغداد، ومعها المدينة المقدسة: قال مكة: "ونبدأ بالطريق المأخوذ من مدينة السلام (بغداد) إلى مكة وهو المنسك الأعظم وبيت الله الأقدَر، نأخذ بعد البلوغ إليه ذكر ما بعده" (62).

هكذا تبلورت أبحاث المدرسة الجغرافية العربية في القرن العاشر ميلادي، بشكل رئيسي على يد الاصطخري وابن حوقل والمقدسي، الذين كرسوا أبحاثهم على مجال "دار الإسلام" ولم يخصصوا سوى القليل من أبحاثهم للأمم الجوار وذلك تعبيراً عن ثقافتهم بموقع هذه الدار في العالم، ولتعظيم شعورهم بوحدة الجماعة العربية الإسلامية، على الرغم من التصدعات التي باتت تصيب الواقع السياسي للخلافة. إذ شهد القرن العاشر الميلادي إلى جانب ذلك ازدهاراً لافتاً للحضارة العربية الإسلامية، أو ما يسميه ميتر "عصر النهضة"، فبلغ الأدب الجغرافي ذروة اكتماله، وتم فيه تشكيل "المدرسة الجغرافية العربية الكلاسيكية"، التي ضمت بين صفوفها رحالة جوايي آفاق، وامتازوا بدقّة نظرهم واعتمادهم على التجربة والمشاهدة، وبلغوا في تفصيلهم عن خصائص أقاليم دار الإسلام شأنًا كبيراً.

ولعل مفهوم "دار الإسلام" أو "مملكة الإسلام"، والذي انكبت عليه أبحاثهم، بوصفه الموقع الأهم بين الأقاليم- يعود في جذوره إلى المفهوم الإيراني الهرمسي عن إقليم "إيران شهر" الذي تدور حوله الأقاليم، ويتصل بالمفهوم الفقهي "دار الإسلام"، وهذه كانت تعني فقهيّاً، "جملة الأقاليم التي تطبق أحكام الإسلام، ويتمتع جميع من فيها بالأمان الذي يتمتع به المسلمون" (63).

أمّا من زاوية الحدود السكانية فتشمل أبناء والأمة الإسلامية، كائناً ما كانت أصولهم وأعرافهم وأسننتهم بالإضافة إلى أهل الذمة، من سكان البلاد المفتوحة، واعتبرها أبو حنيفة تشمل الأقاليم التي فيها مسلمون، ومتاخمة لأراضي الإسلام، حتى وإن لم تقم فيها أحكام الشريعة (64) وقبالة (دار الإسلام) كانوا يصنعون "دار الحرب"، والتي لا تشملها عقود أو معاهدات، والتي يتوقع إمكانية نشوب الحرب معها، وإن كان هذا المفهوم لا يستدعي الدعوة إلى الحرب، فأغلب الفقهاء يؤكدون على أن العلاقة بين دار الإسلام "ودار الحرب" يجب أن تكون علاقة سلم كقاعدة عامة، ولا تأتي الحرب إلا استثناءً، وأنه لا يحق للمسلمين شن حرب ضد الأمم الأخرى، حتى لو كانت في دار حرب، إلا إذا بادأت هذه الأمم دار الإسلام بالحرب أولاً (65)، وذهب بعضهم إلى أن الإسلام لا يقر الحرب الهجومية بقصد التسلط، أو التوسع؛ لأن الحرب المشروعة الوحيدة في نظرهم، هي الحرب الدفاعية لردع اعتداء أو الدفاع عن حق ثابت بمقتضى عهد أو معاهدة نقضها الخصم (66)، واستند هؤلاء في ذلك على الآية القرآنية (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان. إنه لكم عدو مبين) (يونس: 25) والآية (والله

يدعو إلى دار السلام ويهدي من يّشاء إلى صراط مستقيم) (الأنفال: 61)، وأيضاً على قوله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (البقرة: 190) فضلاً عن ذلك، فقد أقر الفقهاء في تصوراتهم الفقهية، وجود منطقة وسط بين الدارين سموها (دار العهد) من جراء التحالف والتعاهد بين الطرفين، وأول ما تضمنته هذه الدار، هو عدم جواز شن الحرب عليها. (67) غير أن تلك المفاهيم لم يكن لها وزنها، وثقلها دائماً عند رجال الحكم، فبعد اندفاعة (الفتوح) الأولى، ترسخت الحدود وساد الهدوء، بين دار الإسلام والعالم المحيط بها، ولا سيما في العهد العباسي، وكان لهذا أثره في الشعور باستقرار حدود دار الإسلام وثباتها وفي نقل مفهوم "دار الإسلام" الفقهي إلى المستوى الجغرافي الحضاري، لإحساس الباحثين باستقرار حدود هذه الدار من جهة، ولتنامي شعورهم بالثقة بالذات الحضارية من جهة أخرى، من هنا أتى تركيز (المدرسة الجغرافية العربية) على دار الإسلام، وتقسيمها إلى واحد وعشرين إقليمياً لا- بالمعنى الفلكي الرياضي كأحزمة عريضة تضم عدداً من درجات العرض (Kilomata)، بل كمناطق جغرافية وواسعة، أو ولايات (68) (Regions) أي كإقلي (بلداني) في وحدته الاقتصادية والإدارية، والأنثوغرافية، ودأب أصحابها في أطالسهم على أن تبدأ خارطتهم بخريطة العالم المستديرة ثم يليها خارطة جزيرة العرب، وبحر فارس والمغرب ومصر وبلاد الشام والبحر الرومي- الشامي ثم أربع عشرة خارطة تمثل الأقاليم الوسطى والشرقية لبلاد الإسلام، فبلغ الأدب الجغرافي ذروته على أيديهم، فاستعملوا مفهوم الإقليم بعد أن أعطوه معنى جديداً بينوا فيه حدود الإقليم جغرافياً وبشرياً، وتعمقوا في وصف أوضاع الناس فيه، وأساليب معاشهم، وعاداتهم وسلوكهم الثقافي، واعتقاداتهم وأصولهم الأقوامية وحالتهم الاقتصادية، فاقتربت أبحاثهم من نمط الدراسات الإثنوغرافية، وقد عبر المقدسي عن طريقة أصحاب هذه المدرسة، الذين جمعوا بين الرحلة والجغرافية، في البحث، بقوله: "فانتظم كتابنا هذا من ثلاثة أقسام: أحدها ما عايناه، والثاني ما سمعناه من الثقات، والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة في هذا الباب، وفي غيره، وما بقيت خزانة ملك إلا وقد عرفتھا، ولا أهل زهد إلا وقد خالطتهم، ولا مذكرو بلد إلا وقد شهدتهم حتى استقام لي ما ابتغيته في هذا الباب" (69) وكانوا على إدراكهم العميق بالتنوع العميق الذي تزخر به دار الإسلام، يستشعرون وحدة شعوبها الجامعة.

ويشرح ابن حوقل ذلك بقوله: (قد فصلت بلاد الإسلام إقليمياً إقليمياً، وصقعاً صقعاً، وكورة كورة لكل عمل، وبدأت بذكر ديار العرب فجعلتها إقليمياً واحداً؛ لأن الكعبة فيه ومكة أم القرى، وهي واسطة الأقاليم) (70)، ويذكر الإصطخري في عبارة تكاد تكون متطابقة مع ابن حوقل "ثم أفردنا لكل إقليم منها صورة على حدة، فبيّنا فيها شكل ذلك الإقليم، وما يقع فيه من المدن، وسائر ما يحتاج إلى علمه... وابتدأت بديار العرب لأن القبلة بها ومكة فيها وهي أم القرى" (71)، وقد استفادوا من رحلاتهم الواسعة في العالم، وعلى أطراف الهند والصين.

لكن إلى جانب تركّز اهتمامهم بالأوضاع البشرية والاقتصادية لأقاليم دار الإسلام، فإنهم لم ينسوا الأمم المحيطة بهذه الدار، أو بإعطاء ملاحظات على العالم بأسره، فقد كان لا بد

لهم وهم المهتمون بأوضاع هذه الدار، من أن يهتموا كذلك بما يكتنفهم من أقاليم وشعوب، وباحتمالات العلاقات بينهم، وهو ما نجده جلياً في عرض الاصطخري وابن حوقل والمقدسي. فعند تحديدهم لدار الإسلام، تعرضوا لتداخل حدودهم مع الأمم الكبرى المحيطة بها، وحدود وتخوم هذه الأمم الكبرى وما يحيط بها من بحار وعلاقات مع بقية العالم المعمور، مضمنين عرضهم معطيات نموذج الأقاليم السبعة، ومحددن موقع بلاد العرب والمسلمين جغرافياً داخل الأمم الكبرى المحيطة بها: الصين، الهند، الترك، الروم، بلاد القرم، فتحدثوا في البداية عن امتداد دار الإسلام، فأشار الاصطخري إلى "أن شرقها أرض الهند، وبحر فارس (بحر الهند)، وغربها مملكة الروم وما يتصل بها من الأرمن واللان والران والسرير والخزر والروس وبلغار، والصقالية وطائفة من الترك، وشمالها مملكة الصين، وما يتصل بها من بلاد الترك، وجنوبها بحر فارس". (72)

وبعد أن ذكر الاصطخري وابن حوقل ممالك الأرض الأربع: ومملكة إيران شهر، ومملكة الروم ومملكة الصين، ومملكة الهند، فإنهما أشارا إلى مدى ما أخذتها "مملكة الإسلام" في صعودها من تلك الممالك من بلاد، فيقولان بكلمات تكاد تكون متطابقة: "فلما جاء الإسلام أخذ من كل مملكة بنصيب، فأخذ من مملكة الروم: الشام ومصر والمغرب، والأندلس، وأخذ من مملكة الهند ما اتصل بأرض المنصورة والملتان إلى كابل، وطرف أعلى طخارستان، وأخذ من مملكة الصين ما وراء النهر". (73)

فالصين والهند في نظر الاصطخري وابن حوقل اثنتان من الأمم الأربع العظمى في العالم، وأن مساحة "مملكة الصين"، من أربعة أشهر في ثلاثة وتمتد ما بين البحر والتغزغز (قوم من الترك) والتيت (74)، وأن حدودها "فإن شرقها وشمالها البحر المحيط، وأما جنوبها فمملكة الإسلام، والهند، وأما غربها فهو البحر المحيط؛ لأن يأجوج ومأجوج ومن إليهم إلى البحر المحيط من هذه المملكة". (75) وهو هنا ورنك (بحر الشمال) أما "أرض الهند فإن شرقها بحر فارس وغربها وجنوبها بلاد الإسلام، وشمالها مملكة الصين" (76)

وقد وضعوا الشعوب التركية، ما بين الصين وبحر الخزر (قزوين) وبلاد بلغار الفولغا، ويأجوج ومأجوج هم في ناحية الشمال "ليتصل بالبحر المحيط". (77)

الهوامش:

(* باحث و أكاديمي من سوريا.

1. ابن الفقيه. أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني. مختصر كتاب البلدان. طبع مدينة ليون المحروسة، بمطبعة بريل. 1302، ص4، وراجع أيضاً الدمشقي، شيخ الربوة شمس الدين بن عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري. كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. طبع مدينة بطرسبورغ المحروسة. مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية. 1865، ص24.

2. اغناطيوس بوليانوفتش كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج1. الترجمة

- صلاح الدين عثمان. الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية. القاهرة. 1957، ص22.
3. ابن خرداذبه. أبو القاسم عبد الله. المسالك والممالك. مكتبة المثنى ببغداد. ومؤسسة الخانجي بمصر. بدون تاريخ، ص155. وابن الفقيه. مصدر سابق، ص7. دمشق. مصدر سابق، ص24.
4. ابن الفقيه. مصدر سابق، ص5.
5. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ج1. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. طبعة السعادة. ط4. مصر 1964، ص160.
6. ابن الفقيه. مصدر سابق، ص136.
7. المصدر نفسه، ص4-5. ابن رسته أبو علي أحمد بن عمر. كتاب الأعلام النفسية. طبع في مدينة ليون المحروسة بمطبعة بريل. سنة 1893، ص8.
8. أحمد سوسه. الشريف الإدريسي. الباب الأول. نقابة المهندسين العراقيين. مكتبة جهري في بغداد. 1974، ص227-228.
9. ياقوت الحموي الإمام شهاب الدين بن عبد الله. معجم البلدان. المجلد الأول. دار صادر بيروت. 1955، ص20.
10. ابن رسته. مصدر سابق، ص99.
11. ابن خرداذبه. مصدر سابق، ص5. والشريف الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمود بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. ج1 مكتبة العقائد الدينية. دون مكان وتاريخ، ص8.
12. المسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين. التنبيه والإشراف. قسم أول. تحقيق قاسم وهب. وزارة الثقافة. دمشق 2000، ص58-59.
13. أحمد سوسه. مصدر سابق، ص229.
14. أبو الفداء. عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر. كتاب تقويم البلدان. طبع مدينة باريس. 1850. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ، ص19.
15. البيروني. أبو ریحان محمد بن أحمد. كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد. الدكن. الهند. 1377هـ - 1958م، ص156.
16. المسعودي. التنبيه والإشراف. قسم 1. مصدر سابق، ص131.
17. أبو الفداء. مصدر سابق، ص30.

18. ابن رسته. مصدر سابق، ص 85.
19. الإدريسي. مصدر سابق، ص 526.
20. المصدر نفسه، ص 87 وأبو الفداء، ص 21.
21. الدمشقي. مصدر سابق، ص 100 - 101.
22. المسعودي. مروج الذهب. الجزء الأول. مصدر سابق، ص 155 - 156.
23. أبو حنيفة الدينوري. أحمد بن داود. الأخبار الطوال. تحقيق عبد المنعم عامر. وجمال الدين الشيال. أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثني ببغداد، ص 35.
24. المسعودي. مروج الذهب. ج 1. مصدر سابق، ص 51.
25. الإدريسي. مصدر سابق، ص 9.
26. المصدر نفسه، ص 9 - 10.
27. المسعودي. التنبيه والإشراف. القسم الأول. مصدر سابق، ص 103.
28. أبو الفداء. مصدر سابق، ص 30.
29. المسعودي. التنبيه والإشراف. قسم أول. مصدر سابق، ص 61.
30. الحموي. مجلد أول. الجزء الثاني. مصدر سابق، ص 54.
31. أحمد سوسه. مصدر سابق، ص 200.
32. المسعودي. التنبيه والإشراف. قسم أول. مصدر سابق ص 71.
33. المصدر نفسه، ص 75.
34. الإدريسي. ج 1. مصدر سابق، ص 9.
35. ابن رسته، ص 99.
36. ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون. دار القلم. بيروت. 1978، ص 82.
37. المصدر نفسه، ص 83.
38. المصدر نفسه، ص 85.
39. المصدر نفسه، ص 83.
40. الإدريسي. مصدر سابق، ص 98.

41. د. شاكر خصباك. مقدمة علم الجغرافيا عند العرب. موسوعة الحضارة العربية الإسلامية. ج1. مؤسسة الدراسات العربية (ثلاثة أجزاء) بيروت. ودار فارس - عمان. 1995، ص476.
42. المقدسي. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الشامي. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. مدينة ليون. مطبعة بريل. 1906، ص59 - 62.
43. المصدر نفسه، ص59.
44. الإدريسي. مصدر سابق، ص98.
45. المصدر نفسه، ص17.
46. المصدر نفسه، ص17 و 87.
47. المصدر نفسه، ص99.
48. ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى. كتاب الجغرافيا. تحقيق إسماعيل العربي. المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت. 1970، ص85 - 89.
49. المصدر نفسه، ص90 - 110.
50. ابن رسته. مصدر سابق، ص96 - 97. ياقوت الحموي. مجلد أول/ج1. مصدر سابق، ص28 - 30، إذ يقول "الإقليم الأول... فهو من المشرق يبتدئ من أقصى بلاد الصين، ويمر على ما يلي الجنوب من الصين، وفيه جزيرة السرنديب، وعلى سواحل البحر في جنوب بلاد السند، ثم يقطع البحر إلى جزيرة العرب... إلخ، الإقليم الثاني... يبتدئ في المشرق، فيمر على بلاد الصين، وبلاد الهند، وعلى شمالها جبال قامرون (=كمبوديا) وكنوج، والسند، والإقليم الثالث:... فيمر على شمال بلاد الصين ثم الهند والسند، ثم كابل، وكرمان... والإقليم الرابع... ويبتدئ من أرض الصين والتيب و الختن... ويمر على جبال كشمير... وكابل...".
51. ابن رسته. المصدر نفسه، ص98.
52. ياقوت الحموي. مجلد أول ج1، مصدر سابق، ص32.
53. الطبيب شرف الزمان طاهر المروزي. أبواب في الصين والترك والهند. طبع في بريطانيا العظمى. من قبل W.HF.FFER وأولاده في كمبرج. لندن. 1942، ص2.
54. القنوجي، صديق بن حسن. أبجد العلوم. ج1. دار الكتب. 1978، ص168.
55. المسعودي. مروج الذهب. ج1. مصدر سابق، ص87.
56. الاصطخري. أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي (الكرخي)، المسالك والممالك.

- تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحسيني. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. مصر. 1961، ص17. وابن حوقل أبو القاسم النصيبي. كتاب صورة الأرض. منشورات دار مكتب الحياة. بيروت. 1992، ص22.
57. د. حسين مؤنس. تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس. مدبولي القاهرة. ط2. 1986، ص8 - 9.
58. اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب. كتاب البلدان. (يلي: ابن رسته. كتاب الأعلام النفيسة) حوقل، ص23.
9. المصدر نفسه، ص268.
60. المصدر نفسه، ص269.
61. أندريه ميكيل. جغرافيا دار الإسلام البشرية. ج1. ق1. ترجمة ابراهيم الخوري. وزارة الثقافة. دمشق. 1985م، ص192.
62. قدامه بن جعفر. أبو الفرج الكاتب البغدادي. نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابه. (يلي كتاب ابن خردادبه. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. المسالك والممالك. مكتبة المثنى. بغداد. بدون تاريخ، ص185.
63. د. إحسان الهندي. أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، دار النمر. دمشق. 1993، ص7.
64. المصدر نفسه، ص8.
65. خديجة أبو أته. الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب. دار المعارف. القاهرة. 1983، ص112.
66. علي علي منصور. شرعة العدو شريعة الإنسان. سلسلة كتابي 3. دار المعارف. القاهرة. بدون تاريخ، ص52.
67. إحسان الهندي. مصدر سابق، ص67.
68. كراتشكوفسكي. مصدر سابق، ص201.
69. المقدسي، ص43.
70. ابن حوقل. مصدر سابق، ص15 - 16.
71. الاصطخري، ص19 - 20 ابن حوقل ص27. المقدسي، ص6.
72. الاصطخري، ص16. ابن حوقل، ص20.
73. الاصطخري، ص15 - 16. ابن حوقل، ص19.

74. ابن 52. ياقوت الحموي. مجلد أول/ج1. مصدر سابق، ص32.

75. المصدر نفسه، ص20. الاصطخري 16.

76. ابن حوقل. المصدر نفسه، ص20. الاصطخري، ص16.

77. ابن حوقل. المصدر نفسه، ص23. الاصطخري، ص18.